جامعة منتوري قسنطينة
كلية الآداب و اللغـــات
قسم اللغة العربية وآدابها



مجلة علمية متخصصة ومحكمة
تصدر عن قسم اللغة العربية و آدابها
العدد 11 السنة 1431 هـ 2010 م

ISSN 1111-4908

أنماط الصراع بين اللّغة العربية والعاميّات المعاصرة (العامية الجزائرية أنموذجا)

أ/ زين الدين بن موسى
قسم الترجمة
جامعة منتوري- قسنطينة/الجزائر

مـقـدمـة:

انتشار العاميّات المعاصرة وطغيانها على اللّغة العربية يكادُ ينسي ما واجهته اللّغة قديما من صراع مع مختلف لهجاتها عند بدأ الانتخاب الأوّلي الذي على أساسه بُنيت قواعدُ الأصول في جميع مستويات اللّغة، وإن كان المعجمُ لم يستثن شيئا من روافد اللّغة التي كانت لهجاتٍ أصيلة لا تبتعدُ عن المتّفق، كما هو الشأنُ بالنسبة للمفترق الذي نشأ عند اختلاط العرب بالعجم، هذا التلاقح اللّغوي الذي حدث بانفتاح الأمصار على بعضها وتواصلها فيما بينها أدّى إلى ظهور ألفاظ هجينة ليست لها انتماء محدّد بالرغم من كونها أجرت اللّحن على اللّسان العربي بوصفه الأداة المطلوبة للتواصل والتبليغ، فمن كانت له الحظوة في الدخول إلى الإسلام هو الذي عمل أوّلا على تحريف بعض الكلمات التي استعصت على لسانه فأعملَ في ألفاظ اللّغة العربية التغيير والتحويل والتبديل وما من شأنه أن يطاوع نطقه ويجعله ضمن حلقة التواصل مع البيئة اللّغوية الجديدة التي استقطبته عقيدتُها واستعصى عليه نطق مفرداتها.

ولا مجال هنا للحديث عن أشكال تلك التغيّرات والتبدّلات التي بسطت القول فيها كُتُبُ اللّحن قديما، بأنّ الغاية هي إبراز إرهاصات الصراع ومتغيّراته التاريخية التي انجرّت عنها هذه الهُجنة المعقّدة التي بات من المستحيل تحديد أصولها، فلا ندري أهي امتدادات للهجات قديمة أو لغيّات بائدة، أو هي مأخوذة من لغة أجنبية قد حرّفت أصولها، وهذا ما يقف حائلا أمام عملية التصفية التي تسمح في النهاية بانتقاء الجذور اللّغوية المستمدّة من لهجات العرب ثمّ إعادة بعثها والعمل على استنباتها في حاضر لغتنا المعاصرة، فلا نستعجل الحكم على المئات إن لم نقل الآلاف من الألفاظ التي قد تكون لها أصول في تاريخ لغة العرب، ولا يتأتى هذا إلاّ بوضع معجم تاريخي للّغة وآخر للّهجات مستمدّ من جغرافية الوطن العربي قصد حصر كلّ الأنماط اللّهجية وفصلها عن فصيح الكلام، ثمّ العكوف على مراقبة

استعمالها بعيدا عن الازدواج اللّغوي الذي يجمع بين ما هو عربي وما هو أعجمي يؤدي في الغالب إلى لُكنة اللّسان وتعويق التواصل بين أفراد البلدان العربية التي يكاد هذا التباين الذي أحدثته هذه الهُجنة أن يجعل شعوبها من أصول متباعدة نظرا لاختلاف ألسنتهم، حيث حدثت هذه المفارقة العجيبة بين أقطاب العالم العربي الثلاث خليجه ومشرقه ومغربه وكلّ ذلك بسبب تعدد صيغ وتراكيب العاميات عند كلّ قطب، لهذا نكاد نجزم أنّ هناك فرقا بين لهجات اللّغة وعامياتها.

فلولا وجود اللّغة العربية بيننا بوصفها أمثل وسيلة لتوحيد التواصل والقرب المعرفي لكان ذلك أدعى إلى حدوث الانفصال الثاني بعدما حدث الانفصال الأوّل حينما تشرذم الوطن العربي الواحد إلى دويلات، وممّا أسهم في استفحال انتشار العاميّات ووسائطها الإبلاغية هو تشجيع توظيفها في وسائل الإعلام الدولية والمحليّة التي وفّرت لها العولمة غطاء أمنيا وقانونيا يسمح برواجها إلى أقصى مدًى ممكن، فالمستمع لأي إذاعة أو قناة عربية يلاحظ الفجوة الكبيرة بين ما يعرفه هو عن طبيعة اللّغة وقيمة التغيّرات الحاصلة على مستوى تطعيمها بألفاظ من العاميّة المكيّفة تارة عن الفصحى وهذا أضعف الإيمان، أو تحريف اللّفظ الأصيل برمّته أو تعميته بتغليفه بكلمة أجنبية أصبغت عليها تبدّلات صوتية المشعرة بأنّها عربية وهو ما يعرف بالتعريب الوهمي الذي يصرف أذهاننا عن التعريب الحقيقي الذي من شأنه أن يزيد في ثراء اللّغة ونموّها، خاصة فيما يتعلّق بالمصطلحات العلمية التي لا مناصّ من تعريب أقرب بناها إلى بنية الكلمة في اللّغة العربية، فطبيعة الصراع المعاصر تكشف عن اختلالات كبيرة في مفهومي اللّهجة والعاميّة، فلعلّ الخطر الداهم على اللّغة الفصحى هو العاميّة وليست اللّهجة، لأنّ العاميّة تحريف للّغة إضافة إلى مزجها بألفاظ أجنبية عكس اللّهجة التي ما هي في الحقيقة إلاّ فرع من اللّغة وتطوّر في بعض ألفاظها حتّى وإن حدث شبه انحراف عن اللّفظ الأصيل، المهمّ في كلّ ذلك هو بقاء ظلال الأصل دالّة على التغيّر.

إنّ تيار العولمة الجارف بوسائله الماديّة والمعنوية يحاول أن يفرض واقعا البقاء فيه للعاميّة العمياء التي تسعى لاكتساح اللّغة العربية الفصحى أو طمس معالمها بدعوى عدم قدرة الأجيال المعاصرة على استيعاب المحصول اللّغوي القديم، ليس المقصود القدم التاريخي وإنّما عدم مواكبة ألفاظ اللّغة الفصحى لما عليه الواقع اللّغوي المعاصر الذي يعمل على تمييع اللّفظ والمعنى معا في حدود كلّ استعمال مهما كانت مبرراته، حتّى ظهر ما يسمّى بالانفصام اللّغوي المؤسّس لانفصال خطير سيؤدّي في النهاية إلى قطيعة بين التراث الضخم لهذه الأمّة وحاضر جيلها الذي ما زال أمامه الكثير للنهوض بعبء بعث هذا التراث والاستفادة منه وإعادة تشكيل فكر حديث لا يبتعد كثيرا عن مقرّرات الفكر التراثي، غير أنّ هذا الانفصال السريع في زوايا معيّنة من الوطن العربي بدأت أعراضه في الظهور لا سيما عند فئة المثقفين الذين تنكّروا لهذا الموروث وقلبوا له ظهر المِجَنّ، وهنا تظهر فعالية تيار العولمة الذي يصنع أنصاره من الدّاخل بعدما كان يسعى إلى الهدم من الخارج بأن يتهجّم على اللّغة مثلا وينقص من قدرها ويشكّك في أصولها وإنّ السعي الحثيث لترويج العاميّة بألسنة المثقفين لهو أكبر ضرر يمكن أن يلحق اللّغة بوصفهم مراجع فكرية لا تنظر إليهم العوامّ في الأغلب الأعم بعين الزيغ والريب، فهم على هذه الصفة أحسن وسيلة للتسويق في نظر العولمة التي يؤسّس منظروها لاستبعاد الفصحى من حاضر الفكر والتواصل اليومي، لأنّ وجودها يعني عمق الانتماء ويمكن أن يعيد للأجيال الوعي بقيمة الموروث الذي لن يدركوا مترلته إلاّ بوساطة هذه اللّغة.

فما تحقّق لحدّ الآن من استدراج لعقول الناشئة كاف لإحداث الهوّة التي تحدثنا عنها سابقا وإن لم تكن بالدرجة نفسها في الأقطار العربية التي لم تتأثر بالمدّ الاستدماري بالحجم نفسه، فدولة كالجزائر مثلا أخذت النصيب الأوفر من حركة طمس معالم الهوية بالرغم من جهود الإصلاح التي حافظت على بقايا الفصحى في

العاميّة الجزائرية، وإن كانت تلك الجهود بدأت تتضاءل آثارها نوعا ما مع ابتعاد المستحدثين من جيل الاستقلال عن الفصحى الذين اصطدموا بروّاد الإنعاش اللّغوي الوهمي الذي لا يمتّ بأي صلة إلى مقوّمات الحضارة العربية، لاسيما في العشرية الأخيرة التي جنت بحقّ ثمار الصراع السلبي الذي كان فيه للغة المستدمر الحظّ الأوفر في الهيمنة على صناعة المشهد الفكري والثقافي، ولا نقصد هنا سيطرة اللّغة الأجنبية في حدّ ذاتها وإنّما نقصد تمركزها في العقول التي جاءت بعد الاستقلال وحاولت تصحيح الوضع، فما كان من ذاك إلاّ أن نشأت ظاهرة الازدواج اللّغوي الذي احتضنته العاميّة وصار مطلبا أساسا لكي يكون البديلَ الأمثلَ للتواصل والتبليغ وتقديم المعارف لأنّ الأصل عند أولئك الذين بشّروا بالعهد الجديد هو فهمُ الآخر في البيئة الاجتماعية دون محاولة لتعنيفه إن هو أعرض عن الأنموذج الأفصح، ونظرا لاستفحال هذه المعضلة التي غذّاها تيار العولمة وحاول بثّها في جميع أقطار الوطن العربي التي لم تعد بمنأى عن هذا الخطر، فأغلب اللّغويين ينادون بالفصل بين حدود استعمال العاميّة وتقزيم ميادين توظيفها والاستعاضة عنها باللّغة العربية الفصحى التي لا بديل لنا عنها بوصفها جامعة لفرقاء المجتمع الواحد والمجتمعات العربية كلّها، وقد جاء هذا المقال ليوضّح بعض جذور هذا الصراع وانعكاساته السلبية على حاضر الفصحى ومستقبلها في ظل تنامي العداء لمستخدميها والغربة التي تعاني منها اللّغة نفسها، محاولين رصد بعض ظواهر هذا الصراع وأنماط اكتساح العاميّة للألسنة مع إعطاء أمثلة تكون شاهدا على هذا الاستعمال غير المبرر والتشجيع المفرط للاستخدام في آن واحدٍ.

أوّلا: أسباب نشأة اللّهجة العاميّة

تظافرت عدّة عوامل أسهمت في انفصال اللّسان العربي عن أصوله اللّغوية وتلبّسه بمنطق لغوي جديد لا يكادُ يمتُّ للأوّل بصلة عدا تلك البقايا التي ما زالت اللّغة الفصحى تفرضها على العاميّة فرضا وتحشرها بين زمر ألفاظها نظرا لحاجة العاميّة نفسها إليها لما تؤدّيه من دلالات خاصّة حاول الذهن الاحتفاظ بها لتعلّقها بعرف اجتماعي أو معتقد ديني، وقد حاولنا استقصاء مجموع تلك الأسباب التي لا شكّ أنّها تجمع بين خصائص الاندماج الأوّل بين اللّغة العربية وغيرها من لغات الشعوب المجاورة في زمن الفتح وهذا الغزو الذي طغت فيه العاميّة على الفصحى في ظلّ تواجد المدّ الاستدماري فهو الذي عمل على إرساء هذه الأسباب التي نوردها على النحو الآتي:

أ ـــ **أسباب تاريخية:** تمتد جذور أزمة ابتلاء الفصحى بغيرها من الألفاظ الوافدة إلى عهد الفتوحات الإسلامية وما انجرّ عنها من دخول طوائف كثيرة ومتنوّعة من حيث الأصلُ واللّغة، غير أنّ هذا الجذر لا يمكننا التأسيس عليه في تتبّع منشأ أزمة العاميّة تاريخيا لأنّ ذلك لم يكن له كبير الأثر على واقع اللّغة إذ أنّها هي التي سيطرت وحلّت ضيفة على غيرها بوصفها لغة الدّين المبشّر به ولغة العلم بعد ذلك ممّا أدّى إلى سهولة حصر كلّ دخيل أعجمي غير مرغوب فيه وتصنيفه ضمن الأخطاء المحذّر منها، فما نحن بصدد مراجعته هو ذلك التحوّل الذي حدث عند حدود القرن التاسع عشر عندما ظهرت نزعة الاستدمار التي أخذت على عاتقها استبعاد كلّ مقوّم حضاري يربط الأمّة بماضيها بما في ذلك اللّغة نفسها حيث نشط علماء الغرب الذين صاحبوا الحملات العسكرية في مجال استفراغ العقل العربي ومحاولة حشوه بكلّ ما من شأنه أن يستأصل الجذور الأولى ويستبدلها بلغته الدخيلة بأن أسّس لذلك مناهج تربوية واجتهد في تأطير عملائه على نحو واسع ليكونوا خير دليل لنشر اللّغة الجديدة بوصفها أداة الحوار الوحيدة التي تمكّن من التواصل

قصد بلوغ الحاجة، فعكفوا على بسط نفوذهم اللّغوي تدريجيا ممّا أدّى إلى استرال العربية من مكانتها ودحرجة أولوية استخدامها عند حدود المحيط الاجتماعي الذي لخّصته الأسرة والكتاتيب وما عدا ذلك فلا مكانة إلاّ للغة الغازي المهيمن على دواليب السياسة و الاقتصاد والإعلام، وإن الأثر البالغ للمستدمر هو ما أنشأه من نخبة تتلمذت على يديه ونادت بما ينادي به بل استكمال مهام أخرى سوسيو ثقافية بداياها ظهرت عند إعلان أولئك عن ضرورة استبدال الحرف العربي بالحرف اللاّتيني[1] بوصفه المعبّر الأمثل عن لغة الكتابة والممثل الأرقى لسموّ الفكر المنحدر من رواسب الحضارة اليونانية الممزوجة بما ترشّحت به عقول الغربيين في ذلك الوقت.

ب ــ أسباب جغرافية: غالبا ما يعيش الأفراد في وطن جغرافي واحد تجمعهم لغة واحدة ومع ذلك نجد تباينا بين مناطق الحضر والبادية إذ يختلفون في نوعية العاميّة المستخدمة ففي الجزائر مثلا تعدّ اللّغة العربية اللّغة الرسمية بحكم الدستور الوطني لا غير، لأنّ هذا البلد فسيفساء لهجية لا تكادُ تحصى فكلّ منطقة من مناطقها تعجُّ بلهجات رئيسة وأخرى فرعية، حتّى في حدود مفهوم المدينة الذي تختلف طبيعة كلام سكانه في الأطراف عنها في المركز من حيث التنوّع الصوتي ونوعية الألفاظ المستخدمة، إذ لو تمسّكت كلّ لهجة بما تنطق به لعزّ التواصل بين بعض المناطق في هذا البلد فما بالك بترويض ألسنة المجتمع كلّه على النطق باللّغة العربية الفصحى، فشساعة المساحة أدّت إلى جغرافية اللّهجة كما هي الحال في جغرافية المكان، فمن كان أقرب إلى الحدود مع دول أخرى لهم معجم لهجي يكاد يختلف عن معجم أهل المناطق الوسطى فكأنّ العاميّة في حدّ ذاتها ازدوجت مرّتين مرّة بانحرافها عن أصل اللّغة العربية وامتزاجها باللّغة الفرنسية بوصفها لغة المستدمر ومرّة بما حدث لها من امتزاج بلهجات دول مجاورة استجلبت ألفاظها من لغات غير الفرنسية.[2]

ج ــ **أسباب اجتماعية:** تكوين المجتمع عادة ما ينبني على طبقات وشرائح تختلف فيما بينها من حيث طبيعة اللّغة المستعملة في التواصل بين كلّ طبقة ؛ فما يوظّفه الارستقراطيون بحكم منزلتهم الاجتماعية يتباين عمّا توظّفه الطبقة الوسطى التي تتميّز بدورها عن الطبقة الفقيرة المعدمة التي تحاول أن تعيش في بيئتها منفردة عن غيرها، لهذا تنشأ في حدود هذه التقسيمات مفردات لهجية تصنع الفرق الضمني بين طبقات المجتمع وإن كانوا يعنون باللّفظ المختلف الشيء الواحد أي أنّ ثمة تنوّع في صور المنطوق الواحد والمعنى هو هو عندهم جميعا، وهذا ما يؤدي في النهاية إن لم يكن واقعا مسموعا إلى صناعة الحواجز التواصلية عندما يحاول المتكلّم أن ينسجم مع بيئة الطبقة التي أُقحم فيها ويظهر ذلك جليا في الطبقات المهنية التي كثيرا ما يجتمع فيها المهندس مع التاجر مع البناء مع الفلاّح ....حيث تبرز المفارقة اللّهجية أثناء التعامل وقس على ذلك بقية المهن التي لها خصوصية اصطلاحية كانت ستنعدم الفروق بينها لو لم تكن اللّهجة محكّمة أي الاستعانة باللّغة الأصيلة في التواصل.

وقد أطلق فندريس على هذه اللّهجات الطبقية مصطلح العاميّات الخاصّة إذ قرّر في هذا المجال أن اطّراد وجود العاميّات الخاصة مرتبط أساسا بنوعية تزايد الجماعات المتخصّصة، كما أكّد أن العاميّة الخاصّة تتميّز بتنوّعها الذي لا يحدّ وأنّها في تغيّر دائم تبعا للظروف والأمكنة فكلّ جماعة خاصّة أو هيئة من أرباب المهن إلاّ ولها عاميتها التي تفردها عن غيرها[3] فامتداد كهذا يفتح المجال رحبا لعدد لا متناه من الألفاظ التي تظهر دون ضابط يحدّد استخداماتها ممّا يفرض نوعا من الأحادية الاجتماعية التي تعمل على الانفصال في التواصل الذي يحقّق التجاوب المطابق أثناء عملية الحوار.

د ـــ هجرات اللّغات وتجاورها: يقرر فندريس أنّ تطوّر اللغة المستمر في معزل عن كلّ تأثير خارجي يعدُّ أمرا مثاليا لا يكاد يتحقّق في أي لغة، بل على

العكس من ذلك فالأثر الذي يقع على لغة ما من لغات مجاورة لها كثيرا ما يلعب دورا مهمّا في التطور اللّغوي، بمعنى أن نموّ اللّغة من الدّاخل يستحيل فهي لا تقوم على تولّد لفظي من ذاتها حتّى وإن كانت اشتقاقية فهذه العملية لا تخرج المعنى الواسع عن دائرة قوالب اللّفظ المتجدّدة وهو ما نلحظه في اللّغة العربية بوصفها لغة تعتمد الاشتقاق لتنمية ثروتها المفرداتية فالتطور يعني الاكتساب من خارج المحيط اللّغوي بوساطة الاقتراض والدّخيل والمعرّب وغيرها لما من شأنه أن يحدث تزايدا في المعجم اللّغوي وهو ما تيسّره ظاهرة الاحتكاك بين اللغات وهجرة بعضها تبعا لهجرة الأفراد أنفسهم أو آدابهم، فالتطور التاريخي لمختلف اللّغات عكس لنا هذه الظاهرة التعايشية التي كان لها كبير الأثر في ترقية بعض اللّغات لا سيما الهندوأوروبية منها لأنّ أغلبها كان وسيلة المستدمر أثناء اجتياحه لمختلف الأوطان العربية، لكنّ احتكاكا كهذا لم ينشأ عنه في بعض البيئات اللّغوية إلاّ تشكّل نمط جديد من اللّغات الهجينة كما هو الحال في العاميّة الجزائرية التي طغت عليها تدريجيا مفردات اللّغة الفرنسية المحرّفة بعدما كان التحريف مقتصرا على الكلمات الفصيحة من اللّغة العربية، وإن الهجرة بنوعيها من داخل الوطن إلى خارجه أو العكس أوجد أشكالا تعبيرية متعدّدة تترك آثارا تشويهية تزيد من عمق الفارق بين العاميّة والفصحى وهذا هو الإشكال الذي جعلنا نفصل بين مفهومي اللّهجة والعاميّة، فالعاميّة تختصُّ بشريحة اجتماعية يمكن أن يتضاءل عددها إلى حدّ لا يقاسُ عليه لكنّه يفرض نفسه في واقع التخاطب اليومي بحكم الحرية المطلقة لتوظيف العاميّة التي عادة ما تخرج عن العرف اللّهجي الاجتماعي الواحد في البلد الواحد[4].

هـ ـــ أسباب فردية: ينحصر دور الفرد نوعا ما في تشكيل الموروث اللّغوي أو اللّهجي بما في ذلك اللّفظ العامي الذي يساهم الفردُ في نشأته عند حدود مستويات دنيا كالأخطاء التي لم تعالج عند الأطفال و عيوب النطق المعروفة

بأمراض اللّغة وعلل اللّسان، وتسهم مثلُ هذه الأعراض في ظهور قدر ضئيل جدّا من الألفاظ التي تنمو على هامش البيئة اللّغوية كأن تؤخذ بوصفها دُعابة تتدرج تلقائيا في الوسط الاجتماعي ثمّ سرعان ما تلبث أن تتحوّل إلى لفظ عامي مستخدم مطّرد وهذه النوعية من الألفاظ ذات المنشأ الأحادي المنعزل لا تشكّل خطرا كبيرا على مستقبل الفصحى لكونها فردية يمكن أن لا يكتب لها التعايشُ أو الاستمرارية في الاستخدام مقارنة مع ما تحدثه بقية العوامل السابقة التي أشرنا إليها سلفا، وكما سنوضّح في العنصر الثالث من هذا المقال فإنّ رصيد هذه الكلمات لا يكاد يعتدُّ به في الحصيلة المعجمية للعامية الجزائرية.

ثانيا: مظاهر الصراع بين اللّغة واللّهجة

إنّ منشأ الصراع بين الفصحى واللّهجة سببه اختلاف شرائح المجتمع فمنهم الخواص ومنهم العوام الذين لا يمكن أن تتطابق عندهم مستويات توظيف اللّغة بحكم اهتمامات كلّ شريحة، وجذور هذا الصراع تمتدّ في التاريخ اللّغوي عميقا لأنّها قضية خلافية شغلت أذهان الباحثين قديما وحديثا ويمكن حصر أهمّ مظاهر الصراع في المجالات الآتية:

أ ــ المجال الأدبي في ضوء التجاذب بين الفصحى واللّهجة: إنّ المتتبّع لتاريخ اللّغة العربية يلحظ أنّ الفصحى وجدت بجوار اللّهجات قديما وحديثا واعترف العلماء بذلك وعلى رأسهم الجاحظ الذي لم ير عيبا في الاستفادة مما يقوله العامّة بل ويشترط في ذلك أخذها كما جاءت على ألسنة متحدثيها، فقد وجدت اللّهجة جنبا إلى جنب مع اللّغة الفصيحة سواء في الجاهلية أو الإسلام وفي العصور الوسطى والعصر الحديث، وهذه اللهجات لم تخص اللّغة العربية فحسب بل خصّت اللّغات على اختلافها، ولا يهمّنا في هذا المقام الكشف عن تلك الجذور والجدلية العاكسة لمدى التأثّر والتأثير بين اللّغة والعاميّة، فهي إشكالية كثيرا ما تناولها الدّارسون واستطاع المستشرقون من خلالها أن يطعنوا في أصول اللّغة

ليدخلوا بذلك سريعا إلى حقيقة لغة القرآن الكريم التي قالوا بامتزاجها بغير الفصيح بما في ذلك الدخيل والعامي، ويقصدون بالعامي هنا لهجات العرب البائدة التي لا حجّة بالأخذ عنها، لكن يمكن الجزم أنّ اللّغة العربية الفصيحة عاشت بجوار اللّهجات؛ فاللّهجة موجودة مع الإنسان لأنها استخدمت في القديم ولا تزال موظّفة في هذا العصر في الحياة الاجتماعية كذلك إذ أننا نجدها في المترل والشارع والمؤسسات العامّة والخاصّة فهي تعمل على تأسيس خطابات متنوّعة من خلال الحوارات العامّة المشحونة بعبارات تمثّل خصوصية المجتمع(5) لهذا حرص الأدباء على اتخاذ اللّهجة منفذا للاطّلاع على أحوال النّاس والكشف عنها ضمن قوالب سردية سواء كان ذلك في الرّواية أو القصّة أو المسرح أو غيرها من الأجناس الأدبية التي لم يعد بناء نصوصها حكرا على مفردات الفصحى فحسب، حيث بدأت ألفاظ العاميّة تزاحمها في مختلف تلك النصوص وتتحدّى وجودها لأنّها الأقرب إلى لغة القارئ الذي حتما لن يكون عاميّا بل هو المثقّف الذي تساقطت مفردات الفصحى من مخزون ذهنه حتّى أصبح لا يقرأ إلاّ تلك النصوص المشوبة بتناوب بين مفردات اللّغة العربية الأصيلة والألفاظ العاميّة المأخوذة من خصوصية المجتمع، وهذا ما أسّس فعلا لاحتكار الخطاب العامي بألفاظه إن لم نقل معانيه كذلك، لأنّ وجود اللّهجات قديما لم يمنع ولم يكن حائلا دون كتابة مختلف المؤلّفات باللّغة العربية الفصحى ولم يعترض أحد منهم على ذلك، فما كان من تلك المؤلفات معقّدُ الأسلوب نظرا لغرابة ألفاظه أعدّوه صنفا خاصّا لا يرقى بأن يكون مجال قراءة لجميع فئات المجتمع، فهم على الأقل مشتركون في أكبر كمّ من الكتب التي يقرؤونها باللّغة نفسها ولا نعني هنا حدود الاختصاص؛ إذ أنّ لغة الكتابة كانت واحدة بالنسبة لهم عكس ما نلحظه اليوم في الكتابات الأدبية بأجناسها المختلفة، فهب أنّك قرأت رواية من روايات بعض الأدباء الجزائريين وأنت مشرقي فلن يكون لك حضور القارئ الواعي المستحضر للمشهد الروائي

مثلا إلاّ ما تتصوره من أطياف تحيلك عليها بعض عبارات الفصحى التي تتخلّلها ألفاظ عاميّة هي أشبه ما تكون ببرك وحلية يتعثّر فيها القارئ ولا يكاد يخرج من واحدة إلا دخل في الأخرى ممّا يترك انطباعا بالغربة في عالم الكتابة لأنّ هذه الأعمال غالبا ما تصنّف ضمن الأعمال الأدبية الفنية التي لا يقرؤها إلاّ المثقفون والنخبة، فما ضمّنه توفيق الحكيم من ألفاظ عاميّة في مسرحياته كان له كبير الأثر على امتداد هذه النزعة وإن كان المسرح مجمعا لالتقاء العوام والخواص، عكس النصّ الروائي الذي لم يؤسّس إلاّ لفئات محدّدة فتطعيمها بالألفاظ العاميّة لا يدلّ على محاولة تقريبها من الواقع بل هي محاولة لاستبعاد العقل العربي عن قبوله للشكل البنيوي المستمدّ من مفردات اللّغة وتراكيبها، وقد انتشر هذا المدّ بشكل لافت في جميع المنتج الأدبي وهو ما يحيلنا على التساؤل عن حقيقة الشخصية اللّغوية للمؤلّف التي ربّما اعتورها النقص في المستوى اللّغوي إذ لا نشكّ في تأثّره بما تمليه دواعي العولمة التي تعمل على تفعيل واقعية الأشياء ونقلها مباشرة كما هي دون تمحيص، فالأجناس الأدبية الواقعية تعكس صورة المجتمع كما هي بقضّها وقضيضها دون مراعاة خصوصية الإبداع الفني الذي يحافظ بدوره على فئات المتلقين ويجعل بينهم حدودا هي في الحقيقة تعكس مستوياتهم المتباينة، وما عدّوه نقلة نوعية في حداثة لغة الرواية والقصة ما هو إلاّ شكل من أشكال تغريب الفصحى وإحلال العاميّة محلّها لأنّها في ظنّهم أكثر مكاشفة للواقع.

ب ــ المجال الإعلامي: إنّ مجال الصراع لا ينبغي أن يُدرس عند الحديث عن الإعلام بين اللّغة والعاميّة وإنّما ارتقى الصراع لأن يكون بين الفصحى والإعلام في حدّ ذاته الذي يعدّ نافذة على فئة واسعة من الجماهير على اختلاف مشاربهم، غير أنّه يسعى إلى توظيف نمط واحد من لغات التواصل وهي العاميّة المفرطة بل إنّ ما تعانيه الفصحى في وسائل الإعلام لا تكاد تضاهيه أي معاناة أخرى، فالإعلام بوصفه مطلبا أساسا في حياة الفرد المعاصر صار مصدرا تستقى

منه الأخبار كما تؤخذ عنه مختلف المعارف نظرا لتنوّع أوعيته وقنواته، فكلّها تنشد وُدّ المشاهد أو القارئ أو المستمع من خلال ترويجها للعاميّة وهجرها المتعمّد لكلّ فصيح من اللّفظ اللّغوي ولا نتعدّاه إلى التراكيب فتلك مشكلة من نوع آخر تحتاج إلى متخصّص.

فرجال الإعلام أغلبهم من مشارب علمية مختلفة ينضح كلّ واحد منهم بما تلقّاه وما يعرفه من موروث لغوي ويحاول نقله إلى المخاطب بما فيه من أدران هي في الحقيقة مصبُّ الهاوية بالنسبة للفصحى، خاصّة وأنّ جمهور المتتبعين لهذه الوسائل والمواكبين لمساراتها يعتقدون كلّ الاعتقاد بأنّ لغة الإعلام حقّ عليهم في المجاراة لأنّهم لا ينفصلون عنها يوميا ولا حدود للتخلي عنها مكانيا، لا سيما بعد تطوّر هذه الوسائل وإيجادها لبدائل كثيرة للتوصيل فما كان قديما لغة الخاصّة من الإعلاميين أضحى اليوم أكثر شعبوية، المستفيد الأوّل منها هم أولئك الذين يسعون حثيثا لإحداث الشرخ بين حاضر هذه الأمة وماضيها بحجّة التطوّر واختلاف العصر فهم على قناعة راسخة من كون فصاحة اللّغة المعاصرة لا تتأتّى إلاّ من خلال إقحام الألفاظ العاميّة[6]، ولمّا كانت الشواهد على ذلك أكثر من أن تحصى أو تستقصى سنكتفي في هذا العنصر بإدراج أهمّ أشكال الانفصال بين اللّغة الفصحى والإعلام والتي يمكن توضيحها من خلال ما يلي:

ــ إهمال وسائل الإعلام للمعجم اللّغوي الفصيح في أشهر مساحاتها الإعلامية انتشارا بين النّاس.

ــ تكريس العاميّة في الخطابات الخاصّة كالإعلانات والومضات الإشهارية وغيرها من الوسائط المستحدثة.

ــ العمل على برمجة حصص خاصّة بالأطفال توظّف الألفاظ العاميّة وهم الذين من حقّهم أن يورّثوا لغة سليمة يشبّون على استعمالها تصحيحا على الأقل لما عليه واقع أسلافهم في هذا العصر، والدليل الرسوم المتحرّكة التي استبدلت

لغتها بالعاميّة في كثير من البلدان العربية بعدما كانت لغة هذه البرامج تحتذى لتسويق اللّغة الفصحى المقبولة والعاديّة.

ـ عدم تخصيص برامج جادّة تهتم بترقية المكتسب اللّغوي الفصيح وتوضيح أهميته للناشئة بحكم علاقته بالوعي والامتداد الحضاري. ـ إنّ تركيبة الأسرة الإعلامية كثيرا ما تجمع بين أفرادها أناسا لا علاقة لهم بمستقبل هذه اللّغة بل ربّما كان من بينهم من يراها عائقا أمام انطلاق لسانه وتمكّنه من إبراز مواهبه العملية المتعلّقة بوظيفته الإعلامية أساسا.

جـ ـ مجال التعليم والتربية: يكادُ هذا المجال أن ينفرد عن غيره في كونه يعكس بحقّ هوية الأمّة لأنّه الحقل الذي تستنبتُ فيه أجيال المستقبل التي إن لم تجد مرتعا خصبا تنمو فيه فكريا وجسديا كان ذلك موجبا لعواقب وخيمة تعود آثارها سلبا على حضور الأمّة في واقع غيرها من الأمم كما هي الحال بالنسبة إلينا اليوم، فالتراجع الذي نلحظه ونحياه في مختلف المجالات مردّه إلى استصغارنا لموروثنا الحضاري واستئصالنا لجذورنا المعاصرة من أصولها الأولى، ولم يحدث كلّ هذا إلا حين تشرّبت منظومتنا التربوية بتعاليم غيرنا التي استوردناها قسرا وطوعا بداية بتهميش لغة العلم والتعلّم التي أثبتت كفاءتها ونجاعتها حينما أنجبت لنا تلك الثلّة المتميّزة من علمائنا الأوائل الذين كانوا أنموذجا تأسّى بهم الكثير من علماء هذه الأمّة في العصر الحاضر و الذين شاركوهم بدورهم غيرتهم على اللّغة وعرفوا لها قدرها وتواصوا بها خيرا لأنّها السبيل الوحيد لمعرفة صحيحة لا يشوبها العقم الذي بات متفشّيا في مؤسساتنا التعليمية بدءا من الروضة وانتهاء بالجامعة[7] التي وكما هو واقع في بلداننا فإنّ الطفل يبدأ مشواره التعليمي بسماع مدّرس لا يلقّنه إلاّ العاميّة بوصفها مدخلا للغة الحوار بينهما أوّلا ثم بوصفها أداة التعليم شرحا وتلقينا ثمّ ما يلبث أن يتعوّد على هذه النمطية في التعليم لينتهي به المطاف في الجامعة بمصادفة معضلة هي أشرّ من الأولى مظهرها المادي اكتساب المعارف الجديدة بلغة

أجنبية هي بديل عن العاميّة والفصحى معا حينها فقط لا يشك الطالب في عجز لغته عن مواكبة التطور العلمي وأنّ تحصيله لهذه العلوم لن يكون إلاّ بلغتها التي أنتجت بها، فيسعى لأن تكون اللّغة الأجنبية مطلبا أساسا في مقتبل حياته الدّراسية حتّى ينشأ النشأة العلمية السويّة في ظلّ مزاوجة بين العاميّة واللّغة الأجنبية مع تغليب هذه الأخيرة لأنّها مقصد كلّ مستغرب استهوته حضارة لم تنتج له أدنى مقوّم يكون في مستوى ما هو مجسّد في حضارته على الرغم من اضمحلال معالمها في الوقت الراهن.

إنّ انتصار المعلّم والمربي باللّغة يعدّ من أرقى المكتسبات الحضارية التي تعكس مدى خصوصية الأمة نفسها، فتغاضي المعلّمين على خطورة ظاهرة استفحال العاميّة وإحلالها محلّ العربية الفصحى في العملية التعليمية لهو أكبر ضرر على مستقبل الأمة بأسرها، لأنّنا يمكن أن نتساهل في بعض المجالات دون أخرى بالنّظر إلى أهميّتها وهل هناك أهمّ من العملية التعليمية والتربوية على الإطلاق؟.

ولعلّ المدخل الذي أقصيت من خلاله اللّغة وأبعدت عن حاضرة التعليم وهو صعوبة قواعدها التركيبية التي تأخذ زمنا غير يسير في التحصيل لهو من أشنع السخافات التي لا يعتدُّ بها بالنّظر إلى طبيعة اللّغة العربية التي تحتاج إلى الممارسة في الاستعمال قبل المرحلية في التوظيف فلو تسنّى لنا أن نجعل من اللّغة العربية حاضرة في حديثنا داخل المؤسسات التعليمية لما احتجنا إلى قاعدة تكبّلُ استعمالنا لها، فنحن تملّصنا من مسؤولياتنا اتجاه هذه اللّغة حين خرجنا من أضيق كوّة فيها وهي صعوبة تعلّمها انطلاقا من موقفنا اتّجاه نحوها، وكأنّ اللّغة هي نحو وصرف وليست وسيلة للتحاور والتخاطب شأنها في ذلك شأن العاميات واللّغات الأجنبية.

ثالثا: العاميّة الجزائرية بين مفارقة ثنائية الفصحى واللّغة الفرنسية:

إن المقصود بالازدواج هنا هو الجمع بين ما هو عربي فصيح وما هو أجنبي لأنّ ذلك كثيرا ما اجتمع في العاميّة الجزائرية المعاصرة التي تجنح إلى توظيف

الكلمات الفرنسية المحرّفة والتي صنعت حاضر معجم العاميّة الجزائرية عند عوامّها وخواصّها الذين لا يتكلّمون باللّغة العربية إلاّ وأقحموا ضمنها كلمات فرنسية تعرّب على طريقتهم توهيما للسّامع أنّ لها أصلا في العربية المعاصرة التي لا حدود لاستخدامها في الوطن العربي بحكم تأثّره بلغة غيره من الأجانب، غير أنّ ما نلحظه في الوطن العربي يختلف عمّا نحن عليه في الجزائر إذ أنّ ألسنة أغلب الناطقين بالفصحى في غير الجزائر يمكن أن تتجرّد للحديث بها دون إقحام غيرها، أمّا ما عليه الحال في المجتمع الجزائري فإنّ ازدواجية اللّغة في الخطاب الرسمي هو الذي يؤرّق المنشغلين بالدّرس اللّغوي في هذا البلد، لاسيما بعد أن نشأ جيل لا يعرف من العربية إلاّ ما حصّله أثناء فترة تمدرسه الأولى عن طريق ما قرأه من نصوص ليس له الخيارُ في اصطفائها لأنّه مجبر على محاكاة لغة نصوصها محادثة وكتابة.

أمّا إذا غادر المحيط المدرسي أو تدرّج في السلّم التعليمي فإنّه يبتعد شيئا فشيئا عن فصيح الكلام حيث يصادف معجما مزدوجا تغلب عليه ألفاظ اللّغة الفرنسية المحرّفة لهذا أشرنا من قبل إلى أنّ عاميّة المجتمع الجزائري تختلف تماما عمّا نعرفه من لهجات لا يُعدم وجودها في أي مجتمع عربي، لكنّها تنحدر من أصول لغوية أو هي وجه من وجوه تحريف اللّفظ الأصيل، وهو ما سنشير إليه من خلال الأمثلة الواردة في هذا العنصر التي نعدّها من بقايا الفصحى في العاميّة الجزائرية التي يغلب عليها ما صار أصلا وهي الكلمات الفرنسية التي تغطّي جزءا لا يُستهانُ به من مساحة الكلام عند عوامّ المجتمع وخواصّهم الذين تأثّروا بهذه اللّغة الدخيلة التي حاصرتهم في جميع المجالات السياسية والثقافية والاجتماعية بما في ذلك الدينية حيث سُمعت لذلك شواهد على منابر المساجد التي لم يجد الخطيب بديلا عن استعمالها لإفهام الحضور.

ضف إلى ذلك تعدّد اللّهجات المركزية المنحدرة من أصول بربرية التي لا نكاد نعثر على دخيل من العربية في نسيجها اللّغوي إلا لِماما وذلك في الألفاظ

الدينية الخاصّة التي لا يوجد لها مقابل في مثل تلك اللّهجات، التي تركّز وجودها في وسط البلاد وشرقها وجزء كبير من صحرائها الشاسعة التي انفصل سكانها لغويا من حيث نطق العربية في حدّ ذاتها فهم أقرب إلى غيرهم منها أو من حيثُ استخدامُهم للهجة ليس لها بعد تواصلي مع بقية مناطق البلاد، عكس الأمازيغية التي تعدّ أكثرها انتشارا وتداولا بين أفراد المجتمع، لهذا فإنّ سلسلة الأمثلة التي سنقدّمها شاهدا على ما تبقّى للغة العرب في العاميّة الجزائرية لا تكاد تقاس مقارنة بالألفاظ الفرنسية المحرّفة حيث اشتقت منها كلمات كثيرة لا حصر لها خاصّة في حقل المهن التي غالبا ما يزاولها عمّال تفشّت في أوساطهم الأميّة التي وُجدت لها نظائر في الأوساط المثقّفة المحاكية للغة العوامّ في أكثر حديثها وكتاباتها حيث حظيت بشيء من الأميّة العلمية تمثّل الازدواجية اللّغوية أبسط مظاهرها.

وتيسيرا لمتابعة هذه النماذج وفهم تغيّراتها وأشكال توظيفها، فقد عمدنا إلى تقسيمها إلى حقول دلالية مصغّرة تعدّ في الحقيقة جزءا يسيرا ممّا هي عليه الحال في الواقع الاجتماعي اللّغوي الذي لم تستطع الدراسات التي عنيت بتتبّع هذه الظواهر من حصرها واكتفت بشواهد اختصرناها لتوائم المتطلبات المنهجية لهذا المقال، وأهمّ تلك الدراسات ما ألّفه كلّ من الدكتورين عبد المالك مرتاض وعبد الجليل مرتاض، ويعدُّ المجتمع أفضل عيّنة لرصد مختلف تلك الظواهر اللّهجية المتباينة بين مناطق القطر إن لم نقل أحياءه وأزقّته وسنبدأ بالحقل الذي يضمّ ألفاظا من اللّغة الفرنسية التي لم نجمع بينها لعلاقة المجال الدّلالي نظرا لكونها كثيرة الورود على ألسنة أفراد المجتمع الجزائري وما سنذكّر به ما هو إلاّ غيض من فيض :

أ ــ الألفاظ ذات أصول أجنبية:

ــ ترِيسيِتِي: الكهرباء وهي لفظة محرّفة عن الفرنسية وأصلها .éléctrécité

ـ النُوتِيلْ: كلمة هجينة وأصلها فرنسي Hôtel ويوجد في العامة من يحرفها أكثر (لوتيل) لكي تصبح أخف وأجرى على ألسنتهم.

ـ الفَالِيزَه: يريدون بها الحقيبة وهي تعريب وهمي للّفظ الفرنسي Valise.

ـ الرُومَاتِيزْمْ: وهي كلمة فرنسية الأصل Rhumatisme ويعني داء المفاصل.

ـ الفَارْمَسْيَانْ: لا يعرف العوام عندنا الصيدلي لذلك يستخدمون هذا اللّفظ الفرنسي.

ـ لاَفِيزِيتْ: أو فيزيتا واللّفظ الأخير اسباني والعامّة تستخدمه بدل الأوّل الفرنسي لاعتقادهم أنّه أقرب إلى العربية.

ـ فَرْشِيطَه: ويعنون بها الشوكة المستخدمة في تناول الطعام رفيقة الملعقة وهي محرفة عن الفرنسية fourchette وهي أبعد في الاستعمال اليومي عن كلمة فرشاة الأسنان التي يسميها العامّة (الشيتا).

ـ صَالُو: ويقصدون به حجرة البيت المخصّصة لاستقبال الضيوف، وهي تسمية موسّعة لما هو أصل في هذه الحجرة وهي الأرائك وقد حرفت عن الكلمة الفرنسية Salon.

ـ كُوزِينَا: وهي عندهم المطبخ وأصلها في اللّغة الفرنسية Cuisine.

ـ بَالكُو: وتقابل في الفصيح الشرفة وهي محرّفة عن الكلمة الفرنسية Balcon.

ـ طَابْلَه: وهي دلالة على الطاولة المستطيلة الشكل والعامة عندنا تفصل بينها وبين (المايدة) ذات الشكل الدائري بأن تسمّي الأولى طابلة تحريفا للكلمة الفرنسية (Table).

ــ كَامْيُو: وهي الشاحنة الكبيرة في الفصحى وقد حرّفها العامّة عن Camion الفرنسية.

ــ سْتِيلُو: وهو أداة الكتابة المعروفة القلم الذي بالرغم من سهولة نطقه إلاّ أنّ أغلب الجزائريين يوظّفون الكلمة الأجنبية المحرّفة Stylo في جميع الدوائر الحكومية والمؤسسات التعليمية.

ــ بَرْوِيطَا: وهي النقّالة ذات العجلة الواحدة التي تستخدم في نقل ما خفّ حمله من مواد البناء وهي محرّفة عن الكلمة الفرنسية Brouette.

ــ طْرُوطْوَارْ: وهو الرصيف وهذه الكلمة هجينة محرّفة عن كلمة Trottoir الفرنسية.

ــ لَمْبِيلاَنْسْ: وهي سيارة الإسعاف وتقابل Ambulance الفرنسية.

ــ بَاطِيمَا: وهي العمارة محرّفة عن الكلمة الفرنسية Bâtiment.

ــ بَارَسْيُونْ: ويقصدون بها العملية الجراحية حرّفوها عن Opération Chirurgicale الفرنسية.

ــ سْبِيطَارْ: وهو المستشفى والملاحظ على العامّة في الجزائر إن لم نقل الخاصّة كذلك أنّهم لا يستخدمون كلمة الشفاء ولا مشتقاها بل استغنوا عن كلّ ذلك بكلمة (ارتاح) وتحريفهم لكلمة (سبيطار) مأخوذ من كلمة (Hôpital).

ــ كُوفِيرْتَا: وهي البطّانية التي لا يستخدمها العامّة البتة ويؤثرون استخدام كلمة (كوفيرتا) المحرّفة عن Couverture الفرنسية، ولها في العامية الجزائرية صور مختلفة عند النطق.

ــ تِيبَانَا خُبْزْ: للإشارة إلى الواحدة من الخبز وهذا التركيب محرّف عن الفرنسية Petit pain.

ــ سْمَانَه: يجري هذا اللّفظ على ألسنتهم للدّلالة على الأسبوع، وقد حرّفت عن الكلمة الفرنسية Semaine.

ــ لاَمْبَا: وهي المصباح وقد حرّفها العامّة عن كلمة (Lampe) الفرنسية.

ــ المَرْشِي: وهو السوق في الفصحى فإن أحسنوا تسميته قالوا (سوق) بالقاف المعقودة وقد حرّفوا كلمة (مرشي) عن كلمة (Marché) الفرنسية.

ب ــ حقل الأطعمة والأشربة:

ــ السْمِيد: فصيحه السميذ بذال معجمة.

ــ الخُبْزْ: وينطق في عاميتنا صحيحا دونما تحريف أو تغيير.

ــ بْصَلْ: ينطق هذا اللّفظ في اللّهجة الجزائرية بسكون الباء على عادة الجزائريين في البدء بساكن ثمّ يفتحون الصاد.

ــ الدّقْلَه: هذا اللّفظ ينطق في العاميّة الجزائرية معقود القاف للإشارة إلى أجود أنواع التمور وقد رجّح الدكتور عبد المالك مرتاض أنّه جاء من لفظ الدّقل ومن ثمّة فهو يعدّه عربيا فصيحا[8].

ــ خَاتَرْ: وهو لفظ محرّف عن اللّفظ العربي الفصيح خاثر للرمز إلى اللّبن الخاثر أي الغليظ.

ــ هْرِيسَه: وهي عربية فصيحة غير أنّ أغلب الجزائريين ينطقونها بسكون الهاء وتجدر الإشارة بالذكر أنّ هذه الكلمة أوردها مجموعة من الأدباء القدماء في كتبهم.

ــ الفْرِيكْ: وينطق في العاميّة الجزائرية فصيحا صحيحا وجدير بالذكر أنّ هذه اللّفظة مثبتة في المقامة الصيمرية للهمذاني.

ــ الكَعْكْ: وسواء أكانت هذه الكلمة عربية أم معرّبة، فالعامّة عندنا تنطقها صحيحة كما أوردتها كتب الأدب القديمة.[9]

ـــ الرُّمَانْ والخَوْخْ: ينطقان نطقا صحيحا فصيحا دونما تحريف.

ـــ اللُّوبْيَا: تنطق العامّة هذا اللّفظ محرّفا في كثير من الأحايين وذلك بتسكين الباء، والتحريف في نطق الكلمات ظاهرة مطّردة في لهجتنا العاميّة خذ مثلا الإجاص فإنّه ينطق في العاميّة الجزائرية لنجاص، وهذه التحريفات لها صور مختلفة تتباين من منطقة إلى أخرى ويتّضح ذلك جليا في لفظة حمّص حيث يختلف عوامُنا في نطقها اختلافا بعيدا فمنهم من ينطقه بكسر الحاء وتشديد الميم ومنهم من ينطقه بضمّ الحاء وتشديد الميم ومنهم من ينطقه بضمّ الحاء وتسكين الميم.

ومن هذه التحريفات تحريفهم لكلمة سمن التي ينطقونها بسكون السين وفتح الميم مع أنّ الوجه هو فتح السين وتسكين الميم، وكلمة شواء التي ينطقونها مقصورة لا ممدودة، وزْبيب بسكون الزاي والأمر نفسه في كلمة دجاج حيث يتلفظون بدالها ساكنة بل منهم من يسقط هذا الحرف كلية، وكذلك كلمة التفاح بفتح التاء بدل ضمّها.

ج ـــ حقل الأواني والأدوات المترلية:

ـــ القَدْرَه: ينطقونها بقاف معقودة بالفتح وفصيحها القدر ولعلّهم ألحقوا بها التاء لأنّها مؤنّثة.

ـــ القَرْبَه: ينطقون القاف كسابقتها معقودة بالفتح والأفصح الكسر.

ـــ القَصْعَه: هناك من يحرّفها بنطق القاف معقودة وهذه الصورة من المنطوق تشيع في منطقة الشرق الجزائري غير أنّ هناك الكثير من العامّة في مناطق أخرى من البلد ينطقونها صحيحة فصيحة.

ـــ البُرْمَه: يريدون بها القدر ومنهم من يفتح الباء وهي لغيّة في القدر، وقد ذكر الجاحظ أنّها لغة مكّة وهي ضعيفة جدّا حيث أورد في كتابه البيان والتبيين ما نصّه: (قال أهلُ مكّة لمحمد بن المناذر الشاعر ليست لكم معاشر أهل البصرة لغة فصيحة إنّما الفصاحة لنا أهلُ مكّة فقال ابن المناذر: أمّا ألفاظنا فأحكى الألفاظ

للقرآن وأكثرها له موافقة فضعوا القرآن بعد هذا حيث شئتم، أنتم تسمّون القدر بُرمة وتجمعون البرمة على برام ونحن نجعلها قدور وقال الله عزّ وجل:﴿ وَجِفانٍ كالجوابي وقدورٍ راسياتٍ﴾ سبأ13 (10).

ــ خْزَانَه: ينطقون الخاء ساكنة كعادهم في الابتداء بالساكن مع فتحهم لحرف الزاي.

ــ المَرْوَحَه: تنطقها العامّة عندنا بفتح الميم والأفصح نطقها بالكسر عندما يراد بها الآلة، كما نصّ على ذلك الحريري في كتابه (درّة الغواص في أوهام الخواص)، مع تسكينهم للراء والواو معا للتخفيف من ثقل النطق المفتوح فهي إذن عربية ولكنّها محرّفة النطق ككلّ عامية في الغالب.

ــ مَشْطَه: ويريدون به المشط وينطقون ميم الكلمة مفتوحة وكذلك الطاء إيذانا منهم بوجود هاء في آخر الكلمة على عاداهم في نطق المؤنّثات.

ــ مَفْتَاحْ: يفتحون ميم الكلمة على عادهم في فتح معظم ميمات أسماء الآلة مع أنّ الأفصح فيه هو الكسر ولكن الفتح أخف عند العامّة من الكسر والسكون أخف من الفتح، والكلام نفسه ينطبق على لفظة مسمار.

ــ صَنْدُوقْ: والعامة تنطقه بفتح الصّاد وهو تحريف لأنّ الوجه السليم هو نطقه بالضّم.

ــ صَابُونْ: وينطق صحيحا فصيحا بعيدا عن التحريف ولعلّ وجود المدود في بناء اللّفظة هو الذي جعلها تسلم من ذلك.

ــ طْبَقْ: ينطقون الطاء ساكنة على عادهم في تسكين كثير من الأحرف الأولى من الألفاظ.

ــ مَايْدَه: يريدون مائدة وبالإضافة إلى تسهيلهم الهمز يسكّنون الياء.

ــ مْخَدَّه: تحرف العامّة هذا اللّفظ حيث تسكّن حرفه الأوّل على دأبها وكذا الشأن لديهم في لفظ (وسادة) فإنّهم يشكّلون الواو بالسكون.

ـــ المَطْرَحْ: على وزن مسبح وهو النضيدة التي توضع على السرير من أجل النوم، وهي فصيحة مأخوذة من طرحه إذا ألقاه وكلّ مطرح فهو مفرش وكلّ مفرش صالح لأن يطرح عليه.

د ـــ ألفاظ دالّة على الزمان:

ـــ يَامَسْ: أمس، والظاهر أنّ العامّة في الجزائر تجنح لتسهيل الهمز كما هو الحال مع هذه اللّفظة التي قلبوا همزها ياء.

ـــ البَارَحْ: البارحة، ويبدو أنّهم أسقطوا التاء لاعتقادهم أنّ الكلمة مذكر وليست مؤنثا.

ـــ بَكْرِي: مبكّرا وهي تقابل في اللّهجة المصرية (بدري) وأصل هذه المادّة عربي خالص، ففي العربية توجد مادّتا (ب د ر) و (ب ك ر) وقد رجّح الدكتور عبد المالك مرتاض أنّ استعماله هنا لمعنى الصباح الباكر غير صحيح ولفظ بكري من هذه الناحية أقرب إلى العربية من بدري وأولى بالاستعمال العامي من سواه[11].

ـــ غَدْوَا: على وزن دعوى ، بمعنى غدا في الفصحى وهذا الاستعمال مطّرد في لهجتنا العاميّة دون الفصحى إلى اليوم وهو فصيح بل إن استخدامه يعدّ من الاستخدامات اللّغوية العالية، وانظر إلى لبيد في قصيدته الشهيرة (بلينا وما تبلى النجوم الطّوالع) كيف ضمّنه أحد أبياته حين قال:

وما النّاسُ إلاّ كالدّيار وأهلُها بها يومَ حَلُّوها وَغَدْوَا بَلاَقِعُ[12]

هـــ ـــ حقل الألبسة وأدوات الزينة:

ـــ خَاتَمْ: ينطق هذا اللّفظ في عاميّتنا نطقا فصيحا ولكن العامة ما تلبث أن تحرّف جمعه حين تنطق التاء مفتوحة (خواتَم) مع تشكيلهم للخاء بالسكون فكأنّهم راعوا فيه الأصل حين كان مفردا.

ـــ السْرَاوَلْ: يقصدون بهذا اللّفظ السراويل توهّموا أنّ له مفردا فجاءوا به من مفاعيل على وزن مفعال مجيئا قياسيا ولكن الاستعمال الصحيح (سراويل) والعوام عندنا لا يعرفون هذا فيدور على ألسنتهم.

ـــ قْمَجَّه: يريدون بها القميص وهي مأخوذة من اللّفظ الفرنسي (Chemise) أو من اللّفظ الإسباني (Camisa) وقد رجّح الدكتور عبد المالك مرتاض أن يكون الإسبان أنفسهم أخذوا هذا اللّفظ من العربية وأصل هذا اللّفظ في اللاّتينية قاميصيا (Camisia) وواضح أنّ الإسبان آثروا الاستعمال العربي فقالوا قميصا (Camisa) وإنّما أضافوا الألف لأنّهم توهّموه مؤنّثا، فأنّثوه في لغتهم وعلى أنّ العرب تؤنّث هذا اللّفظ حين تريد به الدَّرْعَ[13].

والدّليل على عربية هذا اللّفظ اشتقاق العرب للفعل منه منذ القديم فمن ذلك قول لبيد في وصف ناقة:

عُذافرة تُقَمِّصُ بالرُّدافى   تَخَوَّنَها نزولي وارتحالي[14]

وقد استغرب الدكتور عبد المالك مرتاض تحريف عوامنا لهذا اللّفظ العربي وتناسيهم له وإيثارهم لاستخدام ما هو أجنبي رغم خفة الكلمة العربية وجمالها.

ـــ كَتَّانْ: والعامّة تستعمله استعمالا صحيحا فصيحا يخلو من التحريف.

ـــ إِزَارْ: مستعمل هو الآخر استعمالا صحيحا وهو المئزر.

و ـــ ألفاظ دالّة على الأدواء والأدوية:

ــ الشْقِيقَه: وهي عبارة عن وجع خفيف مؤقّت يصيب الرأس وهي من الأمراض التي عادة ما كانت تعتور الرسول الأكرم صلّى اللّه عليه وآله وسلّم ويستعمل هذا اللّفظ في عاميتنا صحيحا دونما تحريف.

ــ الدَّوَاء: معظم النّاس يستخدمون هذا اللّفظ مع إسقاطهم للهمزة (الدّْوَا).

ــ دْوَا عْرَبْ: وهذا التركيب تستخدمه العامّة للإشارة إلى التداوي بالأعشاب التقليدية ويشيع استخدامه خاصة في أوساط الشيوخ والعجائز وفي البوادي مع تسجيل إسقاطهم الهمز الذي في لفظه الأوّل.

ــ عَيَّانْ: ويقصدون بهذه الكلمة اللّفظ الفصيح (متعب) وهي عربية خالصة بل عالية من حيث الفصاحة، ولكن تستعمل في الأصل للعجز المطلق لا للتعب ومنه قوله تعالى: ﴿ أَفَعَيِينَا بِالخَلْقِ الأَوَّلِ ﴾ ق15.

ــ الدَّاء: ينطقونه مع تحريف بسيط يتمثّل في إسقاطهم للهمزة من بنائه (الدَّا).

ــ لَبَّاسَرْ: يشيرون بهذا اللّفظ إلى (البواسير) وهذه الكلمة كما هو معروف جاءت على صيغة منتهى الجموع لذلك صعب على العامّة نطقها نطقا فصيحا نتيجة جنوحهم إلى التخفيف الذي لا يتأتى لهم إلاّ بالتحريف.

السَّعْلَه: وهو استعمال فصيح صحيح.

الدَّمْعَ: ولا يقصدون بهذا اللّفظ البكاء وإنّما يشيرون به إلى مرض يصيب العين من أبرز أعراضه سيلانها بالدمع.

ز ــ ألفاظ عاميّة محرّفة عن العامّية الأندلسية:

قبل إيراد ألفاظ هذا الحقل لا بدّ من التذكير بأنّ جغرافية القطر الجزائري تمتدّ على مساحة واسعة توزّعت فيها المدن بما فيها من لهجات متباينة حيث جاورت بعضُ تلك المدن الحدود البحرية لجزر اسبانية كالغرب الجزائري وأخرى

إيطالية كالشرق الجزائري خاصّة مدينة عنابة، لهذا امتزجت ألفاظ سكّان هذه المناطق تاريخيا بما كانت عليه لغة العرب عندما قطنوا تلك الجزر من قبل وبقيت بعض ألفاظهم متداولة بين أفراد تلك البيئات الاجتماعية المحاذية للحدود، ومن أمثلة ذلك:

ـ الذُّبَابَة: كان الأندلسيون يحرّفون هذه الكلمة حيث يتلفّظون بها على هذه الشاكلة (ذَبَّانه) ولو جئنا إلى استخدام هذا اللّفظ عندنا في الجزائر نجد أنّه لم يسلم كذلك من التحريف؛ فالعامّة تقول دبّانة وتجمعه دَبَّان على وزن (فَعَّال) وجدير بالذكر في هذا السياق أنّ العوام عندنا قلّما يعجمون الذال في كلامهم: (ديب في ذيب ، الدهب في الذهب......)(15).

ـ الخُرْشُف: والصحيح كما ذكر الزبيدي حَرْشف على وزن مصنع وهو نبت كثير الشوك منبسط على الأرض، ولا زالت العامّة عندنا تنطقه محرّفا بالصورة نفسها التي كان يتلفّظ بها الأندلسيون أي على وزن قُنْفُد(16).

ـ شَاقُور: تتّفق العامّة في الجزائر مع الأندلسيين في تسمية هذا النوع من الفؤوس بهذا اللّفظ، غير أنّ اللّغويين يرون أنّ الصواب هو الصاقور، بمعنى أنّ العامّة تبدل الصاد في بعض الكلمات شينا رغم أنّ هذا اللون من الإبدال اللّغوي منتف في الفصحى وتضيف العاميّة الجزائرية إلى ذلك إبدالا آخر بأن تجعل القاف معقودة(17).

ـ حَنْش: العامة في الأندلس كانوا ينطقون هذه اللّفظة ويرمزون بها إلى نوع من الحيّات والأفصح أن تنطق بفتح النون ومنه حَنَشْت الطيرَ والهوامَ إذا صِدْته، ونحن نستخدم لَحْنَش تارة استخداما حقيقيا وتارة أخرى نوظّفه توظيفا مجازيا في مقام الذّم خاصة للإشارة إلى المكر والخداع.

ـ الكَاغَطْ: وهي من الكلمات المتداولة بكثرة عندنا وكان أهل الأندلس ينطقون طاءها ظاءً ولربّما كانوا يعنون بالظاء الذال، لأنّ الصواب كما يروي

بعضُهم الكاغد بالدال المهملة، لأنّ هذه الأخيرة قد تتبادل صوتيا مع الذال المعجمة والعكس بالعكس، ونشير هنا إلى أنّ العامّة في مناطق كثيرة من الجزائر يبدلون الغين من هذه اللّفظة راءً (كارط)، و ممّا يحضرني في هذا المقام بيتان كثيرا ما يستشهد بهما أساتذة الخط العربي:

ربع الكتابة في سواد مدادها — والربع حسن صناعة الكُتّاب

والربع من قلم تسوي بريه — وعلى الكواغد رابع الأسباب

ـــ فُتَاتَة: كان أهل الأندلس يسمون ما يسقط من الخبز (فُتَاتَة) مع تحريفه فالمتفصّح منهم ينطق فاء الكلمة بالفتح بدل كسرها في حين أنّ الصحيح فُتاتة (بضمّ الفاء) والجمع فُتات بالضمّ كذلك، أمّا العامّة في الجزائر فإنّها تنطق هذه اللّفظة بالجمع هكذا (لَفْتَات) وبغض النظر عن التحريف الجلي للعوام لهذه الكلمة فإنّ جمعهم لها أنسب وأصح لأنّ من النّادر أن تسقط من الخبز فُتَاتَة واحدة ومن ثمّة فإنّ إعراضهم عن استخدامهم المفرد له ما يبرّره [18].

ـــ بْزِيمْ: كان الأندلسيون يطلقون هذا اللّفظ للإشارة إلى الحديدة التي تكون في طرف حزام السرج يُشرجُ بها أو التي تكون في الحزام وعند سكان الغرب الجزائري حسب ما ذكره عبد الجليل مرتاض تطلق على ما يُشَدُّ به النعل على الرجل[19]، بينما يُستخدم عندنا في منطقة الشرق الجزائري وبالتحديد في قسنطينة للإشارة إلى الحنفية التي تستخدم عادة في تزويد أو قطع الماء و الغاز عن البيت، وهذا اللّفظ تحرّفه العامّة سواء أكانوا من سكان الغرب أو الشرق حيث يسكّنون حرف الباء ويسبقونها بلام مفتوحة (لَبْزِيم) بينما الوجه هو إبزيم وجمعه أبازيم،

وقد استخدم هذا اللّفظ كثيرا في أشعار القدماء مع ملاحظة إمكانية وروده بالنون أي أن ميمه مبدلة نونا ويجمع حينها على أبازين، قال أبو داؤد الأيادي:

من كلّ جرداء قد طارت عقيقتُها وكلّ أجرد مسترخى الأبازين[20]

ـ ثَالُولَه: العامة في الأندلس كانت تسمي ما يخرج من الجسم ثالولة ويجمعونها على ثَالُول والصواب ثُؤْلُول بضم الهاء والهمز واحد مذكر والجمع ثآليل، ونحن نتفق في عاميّتنا مع أهل الأندلس في المفرد والجنس ونختلف معهم في النطق لأنّنا نقول في الواحدة تُلالة بضمّ التّاء المثنّاة ونجمع التُلالة تُلال على وزن غُراب[21].

ـ حَنْبَلْ: تتّفق العامّة في الجزائر مع عوام الأندلس في تسميتهم لبعض بُسط الصوف حنبلا لأنّ هذا الفراش من الصناعات التقليدية الجزائرية المشهورة، لكــنّ بعضّ اللّغويين يرون أنّ الحنبل هو الفرو.

ـ خَمَّمْتْ: كان أهل الأندلس يقولون خَمَّمْت الشيء تَخْمِيمًا إذا قدّرته والصواب خمّنت بالنون وهو من التخمين أي القول بالحدس كما قال الجوهري، بينما ذكر أبو حاتم أنّ هذه الكلمة (التخمين) أصلُها فارسي من قولهم خمانا على الظنّ والحدس[22]، وقال ابن دريد: (فأمّا قول النّاس: خمنت كذا وكذا تخمينا إذا حزرْته فلا أحسبه عربيا صحيحا)[23].

وبغضّ النظر عن منزلة هذه الكلمة في الفصحى سواء أكانت عربية أم معرّبة أم مولّدة فالعامّة عندنا تستخدمها كثيرا في تواصلها اليومي، وعادة ما يؤتى بها في تركيب للاستفهام عن الشيء الذي يؤرق الإنسان والذي عادة ما يجعله يلوذ بالصمت ويسرح بذهنه بعيدا عمّن هم حوله.

ح ـــ ألفاظ عامية محرّفة عن عاميّة لهجة سكان صقلية:

فكما تأثّر سكان المناطق الغربية من الجزائر بلهجة أهل الأندلس لقربهم منها كذلك كان الشأن بالنسبة لبعض المناطق الشرقية القريبة من صقلية غير أنّ ألفاظ هذه الجزيرة ذات الأصول العربية لم يعد لها وجود إلاّ ما رصدته بعض الدّراسات على أنّها شواهد لبقايا تلك اللّهجة في العاميّة الجزائرية التي عملت على تحريف لهجة الصقليين الذين حرّفوها بدورهم عن الفصحى:

ـــ رْتِيلَه: وكان الصقليون ينطقونها الرُّتيلي يالثاء المثنّاة أو المثلّثة وصوابها بالتاء المثنّاة وفي الصحاح: (الرتيلا جنس من الهوام ويمدّ أيضا)[24]، والعامّة في الجزائر تنطقها رتيلة بالتاء الفصيحة وقد نجمعها على رتيلات وما تنسجه من خيوط متشابكة رهيفة يدعى عند سكان الغرب الجزائري (خمَار)، فيُقال: خمار رتيلة، ولعلّ هذا قريب من الخمرة بالضم فوق الخاء وهي سجادة تعمل من سعف النخل وترمل بالخيوط [25]، وكثيرة هي الكلمات المشتقة من هذا الجذر التي تدلّ على ما توارى عن النظر واختفى ومنه: خمر عني فلان إذا توارى وأخمرت الشيء أضمرته ويقال وجدت خمر الطيب أي ريحه لأنّه يشمّ ولا يُرى وخمّر فلان شهادته أي كتمها والتخمير التغطية....وهذه الدّلالات كلّها تؤكّد سلامة الدّلالة العاميّة عندنا في التعبير عن نسيج الرتيلاء بهذا الإسم وهذا دون أن نغفل خمار المرأة[26].

ـــ مُفَرْطَح: يقول الصقليون لكلّ ما نبسط من الأشياء مُفرطح و كذلك العامّة في الغرب الجزائري تنطقه مع ملاحظة أنهم يشكّلون حرفه الأوّل بالسكون في حين ينطقه أهل الشرق لمفرطح والوجه مفلطح باللاّم[27] ـــ مَهْرَاسْ: الصقليون ينطقونه بالزاي (مهراز) ويوافقهم في ذلك سكان الغرب الجزائري في حين يتلفظ به سكان الشرق بصورة أقرب إلى الفصحى لأنّهم يفتحون أوّله (مَهْراس)[28].

ـــ امرأة نَافْسَة: يطلق أهل صقلية على المرأة التي وضعت حملها امرأة نافسة ويوافقهم في ذلك أهل الشرق الجزائري بينما أهل الغرب يقولون امرأة نفيسة

والصواب نُفساء، ومن هذا نفست بفتح النون إذا حاضت ونفست بضم النون إذا ولدت[29].

ــ البُلاَّرِج: أهل صقلية كانوا يطلقون هذا اللّفظ ويريدون به جنسا من الطيور القواطع المسمّى: اللّقلق أو اللّقلاق، والصواب بلّورج أمّا العامة عندنا فيختلفون في نطقه فتجد أهل الشرق ينطقونه بَلاَّرَج في حين يتلفظ به أهل الغرب بْرَارَج بإبدال اللاّم الأولى راء[30].

ــ الغُمَيْضَه: يطلق أهل صقلية على إحدى لعب الأطفال (الغميضة) وهو ما يتّفق مع ما يعرف عندنا تماما مع اختلاف في صور المنطوق بين سكان الغرب الجزائري وشرقه فبينما ينطق أهل الغرب هذه اللّفظة بالشكل نفسه الذي كان ينطقها به الصقليون نجد أهل الشرق ينطقونها غمّايضة.

ومضمون هذه اللّعبة أن تجعل على العينين عصابة ويشرع معصوب العينين في البحث عن أترابه المتوارين فإن ضبط أحدهم وهو معصوب العينين وضعت العصابة على المضبوط وهكذا، والصواب هو الغميض والغميضاء[31].

ط ــ تراكيب لهجية جزائرية محرّفة عن العاميّة البغدادية:

أمّا ما يقال عن لهجة أهل بغداد فهو أنموذج آخر لهجرة بعض الألفاظ العاميّة في الأقطار العربية واندماجها في نظيراتها الأخرى نظرا لصلة المجتمعات العربية بعضها ببعض قديما في العهد العثماني الذي مكّن من التقاء أطراف الوطن العربي بالرغم من انقسامه إلى مناطق إدارية عملت الدولة آنذاك على تحديدها، فهذه الأمثلة المأخوذة من اللّهجة البغدادية يمكن أن يكون لها مثيلات في بقيّة لهجات الدول العربية لاسيما المجاورة لها كالأردن وسورية وغيرهما، والشواهد الآتية توضح ذلك:

ـــ العامّة في بغداد كانت تقول مُسْتَأْهَل لكذا وهو غلط لأنّ المستأهل متخذ الإهالة، وهي ما يؤتدم به من سمن ودسم اللّحم والشحم والصواب أن نقول: فلان أهل لكذا كما جاء في القرآن الكريم: ﴿ هو أهل التقوى وأهل المغفرة ﴾ المدثر 56، وفي عاميتنا الجزائرية ندلّ بهذا على معنى الاستحقاق شرّا كان أم خيرا ولا يستخدم فيها إلاّ الفعل المضارع: (هو يستاهل كذا) بدون همز أي يستحقّه أو هو (مَايَسْتَهَلْش) كذا أي لا يستحقّه أولا يستحقّ ما لحق به من ضرر وأذى أو ما ألصق به من تهمة أو وصف به من وصف مشين ومهين، وذلك فإنّ هذه الكلمة قد تستعمل ويراد بها الاسترحام والتبرئة ونحوهما إلى جانب دلالتها الأصلية في الفصحى وواضح أنّ الفرق بين اللّهجة البغدادية والجزائرية أنّ الأولى تستخدم في تعبيرها اسم الفاعل وأنّ الثانية تستخدم الفعل المضارع في ذلك لكنّهما تتفقان على استعمال المزيد(32).

ـــ عَلّمْت عْلِيه: والأفصح أعلمت على الشيء ونطق عامّة بغداد يتّفق مع النطق عندنا لنفس التركيب، وواضح أنّ العامّة عندنا وفي بغداد فرّوا من التحقيق إلى التسهيل فوقعوا في التضعيف(33).

ـــ مْشِيت حتّى عْيِيتْ: تتفق اللّهجة البغدادية مع اللّهجة الجزائرية في قولهم: مشيت حتّى عييت بإسقاط الألف وكسر الياء والصواب: مشيت حتّى أعييت لأنّ عييت يقال لما يلتبس علينا من الأمور، فلا ندري ما وجهها ونقول منه: راني عيّان أي أراني مُعْيِيا وكان طبيعيا أن تسقط الهمزة من مُفْعِل لتتحوّل إلى فعلان ما دامت أنّها سقطت من أفعل(34).

ـــ الشْفَارْ: العامّة في بغداد تسمّى مثلنا الشعر النابت على حروف الأجفان (أشفار) مع ملاحظة أنّنا نسقط الهمز والأفصح أن يقال الهُدب بينما الأشفار هي حروف الأجفان.

فهذه الحقول الثلاثة الأخيرة لها المئات من الشواهد في كتب لحن العامّة في التراث العربي حيث اقتصرنا على ما انتقل منه إلى العاميّة الجزائرية وبقيت بعض استعمالاته في الحديث اليومي.

ي ــ أمثال شعبية:

ــ بْلَغْ الْمُوسْ لَعْظَمْ: يريدون بلفظ (الموس) اللّفظ العربي الفصيح (الموسى)، وإذا ما استثنينا إسقاط العامّة للألف من أداة التعريف في كلمة العظم فبقية المثل لا غميزة فيه.

وهذا المثل يضرب للشدّة حين تبلغ مداها وللشر حين يستفحل أمره وهو يؤدي المعنى نفسه الذي يرمز إليه المثل العربي (بلغ السيل الزبى)[35].

ــ ضَرْبَه بَالفَاسْ خِيرْ مَنْ عَشْرَه بَالقَادُومْ: وهذا المثل يضرب حين يراد تفضيل شيء واحد عظيم أحسن من أشياء كثيرة صغيرة أو حقيرة، لأنّ الضربة بالفأس أكثر تأثيرا في الأرض أو في سواها من القدوم.

وباستثناء اللّحن الواقع في كلمة عشرة لأنّ الأصل أن يقال عشر عملا بقاعدة حكم العدد مع المعدود وكذا لحنهم في جعل القاف معقودة فالمثل فصيح إلى حدّ بعيد.

ــ مَعْزَه وُلُو طَارَت: يريدون بلفظ (معزة) ماعزة ويضرب هذا المثل لموقف التصلّب والعناد الذي يتخذه بعض النّاس في مجال الحجاج، فمن النّاس من يصرّ على موقفه ورأيه لا يريم عنه أبدا، ويروي العامّة قصة طريفة في سبب إرسال هذا المثل فقد زعموا أنّ رجلين من سكان البادية تراءى لهما شيء من بعيد أسود اللّون، فقال أحدُهما: انظر إنّه غراب فقال الثاني: أنت مخطئ إنّما ذلك الجسم الأسود الذي ترى إنّما هو ماعزة. قال الأوّل: بل غراب وإن لم تصدّق فانتظر بنا قليلا حتّى نتيقّن فيما نحن فيه نختصم فإن طار فإنّه غراب كما أقول وإن لم يطر

فإنّه ماعزة سوداء اللّون كما تزعم أنت، وما هو إلاّ وقت قصير حتّى حلّق الجسم الأسود في السماء وتأكّد لهما أنّه غراب ولكن الشخص الذي كان يعتقد أنّه ماعزة قال في شيء من المكابرة والتحدّي: معزة ولو طارت.[36]

ـــ مُولَى الدَّارْ مَا يْفَرَّطْ وَالضَّيْفْ مَا يَتْشَرَّطْ: ومضرب هذا المثل واضح.

ـــ هُوَ يَطْلُبْ وَمَرْتُو تْصَدَّقْ: يريد العوام بلفظ (يطلب) يتسوّل وحذفوا التاء الأولى من (تصدّق) على عادة العرب في مثل ذلك ومنه قوله تعالى: ﴿ وَاعْتَصِمُوا بحبلِ اللّهِ جميعًا ولاَ تَفَرَّقوا﴾ آل عمران103؛ أي و لا تتفرّقوا وهذا في العربية الفصيحة مطّرد، والمثل يضرب للمرأة المبذّرة ذات الزوج الفقير ولكلّ حال تضارعها[37].

ـــ الغِيرَه وَالحِيرَه تْرُدّْ العْجُوزْ صْغِيرَه: وربّما يكون هذا المثل أدخل في باب الحكم منه في الأمثال، وهذه الحكمة فصيحة سليمة التركيب إذ كثيرا ما يرد لفظ (رد) بمعنى صار أو صير[38]، ولا أدلّ على ذلك ممّا ورد في شعر لعبد الله بن الزَّبير: (بفتح الزاي)

فردّ شعورهُنَّ السودَ بيضا   وردّ شعورهُنَّ البيضَ سُودَا

والملاحظ على هذه الحقول أنّ معظمها لاسيما الحقل الأوّل قد لقي رواجا كبيرا في العاميّة الجزائرية بل إنّ مثل هذه الألفاظ صار لها حضور في الكتابات الرسمية ووسائل الإعلام بل إنّها بدأت تتوغّل رويدا رويدا في الكتابات الأكاديمية.

الخاتمة:

تضمّنت هذه الدّراسة جملة من الآراء حول واقع اللّغة العربية الفصحى في العاميّة المعاصرة عامّة والعاميّة الجزائرية خاصّة التي استفحل وجودها في المؤسسات الإدارية والعلمية وتسرّب لحنها إلى الخاصّة بعدما كان مقتصرا على عوامهم، حيث أصبح الأمر بينها سيّان يهدّد باندثار الفصحى من الخطابات الرسمية والكتابات الأكاديمية نظرا للبعد المتزايد عن مصادر المعرفة اللّغوية المتمثّلة في ما تضمّنته مصادر أصول التراث، إذ أنّ وقاية اللّغة الفصحى لم تزل قائمة إلاّ من خلال ما يحفظه المجتمع من نصوص للذّكر الحكيم، وهذه بعض المختصرات التي تلخّص أشياء كثيرة وردت في نصّ المقال دون شرح مستفيض:

1ـ إحلال العاميّة محلّ الفصحى نعرة من نعرات الفكر الإستشراقي لّما استعصى عليه إحكام القبضة على مقوّمات هذه اللّغة حيث سعى إلى استئصال شأفتها وتغييبها تدريجيا عن الحضور الاجتماعي عند حدود التعامل اليومي.

2 ـ إنّ الذين حملوا لواء الدعوة إلى العاميّة وشجّعوا نماءها هم الذين لم يستطعموا مذاق اللّغة العربية الفصحى لعلّة في فطرتهم اللّغوية.

3ـ لقد أعمت العاميّة بصائر الخاصّة من المثقّفين قبل عوامهم وجعلتهم يسلسون انقيادهم لرغبات أعداء هذه اللّغة الذين اجتهدوا في إبعادها من واقع الاستعمال رويدا رويدا باسم حجج واهية أقلّ ما يقال عنها أنها نزعات عصبية لا تستند إلى منطق رأي أو دليل علم، ففي الوقت الذي تسعى فيه الدول إلى ترقية لغاتها التي تفتقد إلى أدنى مقوّمات اللّغة نعمل نحن على تهميش لغة هي أقدر على أن تجمع شتاتنا وشتات غيرنا من حولنا بوصفنا نحمل لواء استقطاب الآخر لحضارة إنسانية مثلى في ظلّ تزايد مدّ العولمة.

4ـــ تغذية نزعة المناداة بالعاميّات مآلها في النهاية هو خلق أكبر فجوة بـــين أواصر المجتمع الواحد في البلد الواحد ضف إلى ذلك بقية المجتمعات العربيـــة الـــتي بالرغم من نبذها لهذه اللّغة فقد بقيت عنوان هويتهم في أي مكان يحلون فيه.

5ـــ تشجيع العاميّات نظرة استشرافية لوضع لبنات عودة القبلية المقيتة التي باتت بوادرها وشيكة في الجزائر مع ظهور نزعة التفاضل بين اللّهجـــة الأمازيغيـــة والعربية هذه النزعة التي جعلها البعض مدخلا للتباين الحضاري بـــين حضـــارتين وكأنّ الإسلام لم يوحدهما من قبلُ طواعية برضا الجميع.

6ـــ القضاء على الأميّة والجهل سيُسهم حتما في التقليل من حدّة استخدام العاميّات في الأوساط الاجتماعية ومن ثمة تقليص دورها بوصفها وسيطا إبلاغيا لاسيما في وسائل الإعلام.

7ـــ تسارع اكتساب العاميّة انطلاقا من منابر العلم أنفسها سيجعل العربية الفصحى في أذهان الأجيال القادمة لغة اللاّوعي واللاّحضور في مسرح العولمة المتزايد.

8ـــ تشدّق البعض بصعوبة اللّغة العربية وتعدّد أساليبها وأنساقها هو الذي ساعد على نموّ المطالبة بإحلال العاميّة محلّها.

9ـــ إن لم نسارع إلى نبذ الدعوة إلى العاميّة ووقف زحفها ستمتدّ العدوى حتما إلى الصفوة من أبناء هذه اللّغة الذين بدأت بعض كتاباتهم تنصهر في سياقات العاميّة وأساليبها من خلال التراكيب التي غزت كتاباتنا الأكاديمية العلمية.

10ـــ التهجّم على اللّغة من الدّاخل باسم النقد العلمي هو أخطر ألف مرّة من تلك الإدّعاءات التي تتهم بها اللّغة من خارج قطرها.

11ــ ارتباطنا بالفصحى هو ارتباط بالموروث الحضاري الـــذي ارتضـــيا الانتساب إليه طواعية طوال أربعة عشر قرنا، فابتعادنا عنها سيحول دون فهمنـــا لشرائع ديننا الذي هو من مرتكزات خصوصيتنا الحضارية.

12ــ محاكمة اللّغة الفصحى غيابيا و في عدم حضورها في واقع الاستعمال اليومي هي محاكمة جائرة إلى أن يشهد الواقع بخلاف ما يقوله أدعياء العاميّة عنـــد العودة بها إلى ما كانت عليه من قبل حين استأثرت ببناء فكر حضارة مـــا زالـــت شواهدُها حاضرة إلي اليوم، وتكفي شهادة غيرنا في حقّ هذه اللّغة عنـــدما قـــال توينبي أنّها الرباط الوثيق الذي يحمي البلاد العربية من التفكك.

هوامش المادة العلمية:

(1) البداية المجهولة لتجديد الدرس النحوي في العصر الحديث: سامي سليمان أحمد، تقديم: حسين نصّار، ص10 من المقدّمة، ط1، 2004م، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، مصر.

(2) ينظر النماذج المختلفة التي ساقها الدكتور عبد الجليل مرتاض في كتابه تراكيب لهجية عربية جزائرية في ظلّ الفصحى ص43، دط، 2004، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، الجزائر.

(3) فندريس: اللّغة، ترجمة: القصّاص والدواخلي، ص315، دط، 1950، مطبعة البيان، القاهرة، مصر.

(4) voir , khaoula Taleb Ibrahimi, les algériens et leurs langues, 2eme édition, Algérie : 1997, édition el hikma P53/64

(5) قضايا معاصرة في الدّراسات اللّغوية والأدبية: محمد عيد ص75، دط، 1989م، عالم الكتب، بيروت، لبنان.

(6) ينظر أخطار الإعلام على اللّغة الفصحى التي رصدها الأستاذ: أحمد بن محمد الضبيب في كتابه: اللّغة العربية في عصر العولمة، فصل: اللّغة العربية والإعلام: الواقع والمأمول، ص167، ط1، 2001م، دار العبيكان، الرياض، السعودية.

(7) بحوث ندوة ظاهرة الضعف اللّغوي في المرحلة الجامعية: صلاح الدين صالح حسنين، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، 84/2، ط1، 1997م، كلية اللغة العربية، الرياض، السعودية.

(8) العامية الجزائرية وصلتها بالفصحى: عبد المالك مرتاض، ص71، دط، 1981م، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر.

(9) البخلاء: أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق: طه الحاجري ص201، دط، 1963، دار المعارف، القاهرة، مصر.

(10) البيان والتبيين: أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، 18/1، دط، دت، دار الفكر، بيروت، لبنان.

(11) العامية الجزائرية وصلتها بالفصحى: عبد المالك مرتاض ص22.

(12) ينظر البيت في ديوان لبيد بن ربيعة العامري، تحقيق: إحسان عبّاس، ص88، ط2، 1967م، نشر وزارة الإعلام، الكويت، والشعر والشعراء (طبقات): ابن قتيبة، ص52، ط3، 1984، عالم الكتب، بيروت، لبنان.

(13) العاميّة الجزائرية وصلتها بالفصحى: عبد المالك مرتاض ص 52

(14) ديوان لبيد ص103.

(15) تراكيب لهجية عربية جزائرية في ظلّ الفصحى: عبد الجليل مرتاض، ص8، دط، 2004، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، الجزائر.

(16) المرجع نفسه ص8

(17) المرجع نفسه ص 10

(18) المرجع نفسه ص 8

(19) المرجع نفسه ص7

(20) ظاهرة التبادل الصوتي بين اللاّم والنون مطّردة في اللّهجات العربية، وقد ذكر ذلك ابن السكيت في كتابه الإبدال،ص68، تحقيق: حسن محمد شرق، دط، 1978م، المطبعة الأميرية، القاهرة، مصر.

ينظر البيت في معجم لسان العرب: محمد بن مكرم بن منظور، 94/12، دط، دت، دار صادر، بيروت، لبنان.

(21) تراكيب لهجية عربية جزائرية في ظلّ الفصحى: عبد الجليل مرتاض ص31

(22) المصباح المنير: أحمد بن محمد بن علي الفيومي المقرّي، ص112، دط، 2003م، دار الحديث، القاهرة، مصر.

(23) جمهرة اللّغة:أبو بكر محمّد بن الحسن ابن دريد الأزدي738/1، ط1، 2005م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

(24) الصحاح (تاج اللّغة وصحاح العربية): أبو نصر اسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي،1394/4، ط1، 1999م، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

(25) المصدر نفسه165/2.

(26) تراكيب لهجية عربية جزائرية في ظلّ الفصحى: عبد الجليل مرتاض ص52.

(27) المرجع نفسه ص67.

(28) المرجع نفسه ص67 .

(29) المرجع نفسه ص72.

(30) المرجع نفسه ص72.

(31) المرجع نفسه ص65.

(32) المرجع نفسه ص102.

(33) المرجع نفسه ص105.

(34) المرجع نفسه ص107.

(35) مجمع الأمثال: أبو الفضل أحمد بن محمّد الميداني، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد،93/1، دط، دت، دار المعرفة، بيروت، لبنان.

(36) العامية الجزائرية وصلتها بالفصحى: عبد المالك مرتاض ص129ـــ130

(37) المرجع نفسه ص133

(38) المرجع نفسه ص133